# المعرفة السيميائية في الخطاب النقدي المغاربي المعاصر
# (مرجعيتها، ومستويات تلقيها ورهاناتها)
# (التوجه الغريماسي نموذجا)

*أ. د. عقاق قادة جامعة سيدي بلعباس*

## 1. مقدمة منهجية:

إن الهدف المتوخى من وراء هذه المداخلة، التي تحاول أن ترصد مراحل تلقي المنجز النقدي السيميائي الغربي في نقدنا المغاربي المعاصر المكتوب بالعربية، وتحديد مستوياته – التلقي-يتمثل في محاولة الإجابة عن التساؤلات الآتية:

1. إلى أيِّ حدٍّ استطاع النقد المغاربي المعاصر من خلال انفتاحه على النظريات النقدية الغربية عموما، والاتكاء على منجزاتها، تطويع مفاهيمها واستثمار مقولاتها فيما يخدم تحليلاته وإثراء مقارباٍته للنصوص العربية ذات الخصوصية المختلفة عن النصوص الغربية.
2. وبعبارة أخرى، هل استطاع هذا النقد، تجاوز المستويات النظرية في تلقيه للمنجز النقدي السيميائي الغربي، والتغلُّب على معضلة نقل المصطلح الغربي إلى العربية، ومن ثمة تطويعه لخدمة النص العربي المُقارب؟ وبعبارة أدق: هل استطاع هذا النقد الوصول إلى الحد الذي ذابت فيه الفواصل بين النظرية وبين (النص)؟
3. ثم ما هي النقائص التي اكتنفت هذا التلقي، في المستويين النظري والتطبيقي، وما هي التحديات التي واجهته، وما هي الرهانات التي عليه رفعها؟

إنَّ هدفا كهذا، يقتضي منا القيام بعملية مسح شامل للمسار النقدي السيميائي المغاربي المتبني لهذا الاتجاه، واستنطاق متونه من خلال قراءة استقرائية نتوقف ضمنها عند كل دراسة **تتبنَّى**، أو **تُعلن** أنها تطبق نظرية غريماس السيميائية. لننتقل بعدها إلى استخلاص النتائج المحققة في هذا المجال، والتي يمكن على ضوئها الحكم على هذه التجربة في شموليتها، وتقديم المقترحات الضرورية بشأنها إن اقتضى الأمر ذلك.

لكن ما تجدر الإشارة إليه هنا، هو أن طبيعة عمل كهذا، ليست بالأمر المتيسر، وبخاصة في مداخلة محدودة الحجم والوقت، وعليه فلا مفر إذن من تحديد المتن المدروس وحصره في عدد معين من الدراسات وفي هذا إغفال-بالضرورة-لأعمال أخرى متميزة في مجالها[1].

[1] هناك الكثير من الدراسات المنشورة والبحوث الجامعية غير المنشورة، المكتوبة بالعربية وبالفرنسية أيضا، والمقالات، التي تحمل عناوينها كلمة سيميائية أو سيميولوجيا أو تدل عليها في الكتابات النقدية الجزائرية، ومنها على سبيل الذكر لا الحصر:

- عبد الملك مرتاض، أ-ي دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة "أين ليلاي؟" لمحمد العيد آل خليفة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1992.
- نفسه، ألف ليلة وليلة، تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمال بغداد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993.
- وغيرها من الكتب العديدة في هذا المجال (التركيبي) لذات المؤلف.
- رشيد بن مالك، السيميائية بين النظرية والتطبيق، رواية "نوار اللوز" (لواسيني الأعرج) نموذجا، أطروحة دكتوراه دولة (مخطوط) معهد الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان 1995.
- عبد الحميد بورايو، المسار السردي وتنظيم المحتوى، دراسة سيميائية لنماذج من حكايات "ألف ليلة وليلة" أطروحة دكتوراه دولة، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر 1995، 1996.
- مهدية ساهل، شكل المحتوى في رواية "عزوز الكابران" لمرزاق بقطاش، دراسة سيميائية غريماسية، رسالة ماجستير، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر 1998، 1999.
- نادية بوشفرة، المسار السردي في الموروث الحكائي (سردية الحكاية عند غريماس) كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان، الجزائر، 1999-2000.
- قادة عقاق، السيميائيات السردية وتجلياتها في النقد الجزائري، أطروحة دكتوراه دولة، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة سيدي بلعباس، 2005/2004. وغيرها....

أما المقالات في الدوريات سواء تلك التي تقوم بفعل الترجمة أو بعرض النظريات السيميائية، فهي أكثر من أن تعد أو تحصى.

**المتن المنتخب ومعايير اختياره:**

يتمثل المتن المقترح للمعاينة في الدراسات الآتية:

1. **من الجزائر:**

**رشيد بن مالك في مؤلفاته:**

-البنية السردية في النظرية السيميائية، دار الحكمة، الجزائر، ط،2001م.

- مقدمة في السيميائية السردية، دار القصبة للنشر، الجزائر2000.

- السيميائية أصولها وقواعدها(ترجمة)، منشورات الاختلاف، الجزائر 2002.

**سعيد بوطاجين:**

- الاشتغال العاملي، دراسة سيميائية لرواية (غدا يوم جديد) لعبد الحميد بن هدوقة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2000م.

**حسين خمري:**

- فضاء المتخيل (مقاربات في الرواية)، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2002.

**عبد الحميد بورايو، في مؤلفه:**

- التحليل السيميائي للنصوص، دراسة لحكايات من (ألف ليلة وليلة) و(كليلة ودمنة)،منشورات عادات وأشكال التعبير الشعبي بالجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع،وهران،الجزائر2003م.

**2. من المغرب:**

**سعيد بنكراد في دراساته:**

– مدخل إلى السيميائيات السردية، دار تينمل للطباعة والنشر، مراكش، المغرب، ط1،1994م.

-السيميائيات السردية (مدخل نظري)، دار الزمن، الدار البيضاء، المغرب 2001

- السيميائيات "مفاهيمها وتطبيقاتها "، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب 2003م.
- سيميولوجيا الشخصيات السردية (رواية الشراع والعاصفة، لحنا مينا نموذجا)، عن دار مجدلاوي، عمان، ال أردن2003م.
– شخصيات النص السردي، البناء الثقافي، منشورات كلية الآداب، مكناس، المغرب 1995م.
- نحو سيميائيات للإيديولوجيا، دار الأمان، الرباط، المغرب 1996م.
**3. من تونس: سمير المرزوقي وجميل شاكر**، في مؤلفهما التأسيسي: مدخل إلى نظرية القصة، الدار التونسية للنشر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1985.
**2. محمد الناصر العجيمي في دراسته التأصيلية:**
- في الخطاب السردي (نظرية غريماس)، الدار العربية للكتاب، تونس1993.

كان هذا فيما يتعلق بعرض عناوين المتن المختار. أما المعايير التي اعتمدناها في انتخاب هذا المتن دون غيره من جملة متون أخرى كثيرة فهي تتمثل فيما يأتي:

**معيار النشر والتداول:** ولعل ما يُبرِّر شرعية هذا المعيار لدينا ويعطيه قيمته ووزنه الموضوعي هو تدعيمه بمعيار آخر، هو معيار **التخصص**، ومدى الإضافة التي حققها هذا المنشور في مجاله بخاصة، وفي المسار النقدي بعامة.

**معيار التخصص والإضافة:** حيث أن أصحاب هذه المؤلفات يحوزون قدرا معتبرا من التخصص-الذي ربما كفلته لهم ظروف دراستهم الجامعية-والإلمام بالأصول العلمية لهذه النظرية ومرتكزاتها الفلسفية، بالإضافة إلى جهودهم المتواصلة في محاولة تذليل صعوبة مفاهيمها وملاءمتها مع خصوصية النصوص العربية المقاربة، مما جعلها-المتون-تحقق بعض الإضافات النوعية في مجالها، وتشكل بحق معالم بارزة في مسار التجربة النقدية الجزائرية والعربية على حد سواء.

2. **انفتاح النقد المغاربي المعاصر على المنجز النقدي الغربي:**

3. إن قراءة متأنية لكثير من متون النقد السيميائي الرائجة في ساحة النقد العربي المعاصر بعامة والمغاربي بخاصة، تُبيِّنُ لنا بجلاء أن خطابها مشدود –سواء في مستوياته النظرية أو في ممارساته التطبيقية- إلى مرجعية غربية خالصة، حيث كثيرا ما يتكئ الدارس على شهادات واقتباسات ويحيل إلى مصادر أجنبية غربية، يحدوه في ذلك أمل الوصول إلى التأسيس لمنهجية نقدية متماسكة، يمكن بمقتضاها وصف مكونات الكتابة الأدبية وتحديد أساليبها، وتفسيرها وفق مرجعية مضبوطة وأدوات صلبة، ورؤية جديدة متجاوِزةً لما كان متداولاً في ساحتنا النقدية من أدوات تقليدية هشة ومناهج عتيقة استنفدت كل ما لديها، وأصبحت غير فاعلة.

ولكن هذا الانفتاح لم يأت هكذا طفرة واحدة وبالسهولة التي يمكن تصوُّرها، بل مرَّ بمخاض عسير، جسَّدته مراحل متدرجة، ومحطات متعددة، تأرجحت بين الرفض والقبول، والتجاهل والإقبال، بدأت بمحاولة:

- التأسيس للنظرية وتأصيلها من خلال التعريف بها وعرض أصولها أولا.
- ثم بسط مفاهيمها ومصطلحاتها ثانيا من خلال ترجمة بعضها وتعريب بعضها الآخر.
- ثم القيام ببعض الممارسات التطبيقية وفق آلياتها –النظرية-بغية اختبار جدواها، ومن ثمة رصد نقائصها، ومحاولة تقييمها.

وهو ما يُشكِّل إجمالا مستويات تلقي نقدنا للنظريات الغربية عموما، والنظرية السيميائية خصوصا في جميع مراحلها ومحطاتها، والتي يمكن تفصيلها كالآتي:

**3. مستويات تلقي المعرفة السيميائية في النقد الجزائري وخطاباتها:**

**1.3. خطاب التأسيس والتأصيل والتعريف:** يهدف هذا المستوى من الخطاب النقديّ إلى:

- **التأريخ لهذه النظرية وتأصيلها والتعريف بها، من خلال:**

1. تفحُّصه لأهم مرجعياتها العلمية ومنطلقاتها النظرية بغية إرجاعها إلى أصولها التي انبثقت عنها، وتحديد العلوم التي أسهمت في بروزها.

2. وإبراز الإضافات التي حققتها في مجالها، لتقريبها من فهم القارئ العربي وتيسير سبل استيعابها لديه.

ويمثل هذا الخطاب أحسن تمثيل-في الخطاب النقدي المغاربي المعاصر، الدراسات الآتية:

**1. من المغرب** سعيد بن كراد، في مؤلفه المذكور سابق: مدخل إلى السيميائيات السردية، الصادر عن دار تينمل للطباعة والنشر، مراكش، المغرب، في طبعته الأولى سنة 1994م.

**2. ومن تونس** محمد الناصر العجيمي، في مؤلفه: في الخطاب السردي (نظرية غريماس)، 1994.

**3. ومن الجزائر** رشيد بن مالك في مؤلفه: مقدمة في السيميائية السردية، دار القصبة للنشر، الجزائر 2000. لرشيد بن مالك. في قسمه الأول.

حيث يستقرئ أصحاب هذه المؤلفات المحضن العلمي التي نشأت ضمنه المعرفة السيميائية في النقد الغربي المعاصر، مستعرضين أهم الروافد والمصادر المعرفية التي استقت منها هذه النظرية أسسها المعرفية ومفاهيمها الإجرائية، ممثلة في:

- الإرث السوسيري.[1]
- وجهود الشكلانيين الروس، وبخاصة مورفولوجية بروب.
- وعلم الصواتة
- والنحو التوليدي
- والفلسفة والمنطق[2] وغيرها ...

محاولين في هذا الصدد بسط بعض مفاهيم هذه النظرية، مثل:

- مبدأي **المحايثة** و**الاختلاف** اللذين استقتهما من الأول (المصدر اللساني).

[1] لمزيد من التفصيل، ينظر: قادة عقاق، السيميائيات السردية وتجليتها في النقد المغاربي المعاصر، أطروحة دكتوراه دولة، جامعة سيدي بلعباس، 2004، الفصل الأول من الباب الثاني.

[2] ينظر المرجع نفسه، الفصل نفسه.

- فضلا عن **التمثيل (النموذج) العاملي** المشروط بطبيعة العلاقات القائمة بين الشخصيات والوظائف المسندة إليها والمستقى من المصدر الثاني (النموذج البروبي)، والمجسدة في الرسم العاملي[1]:

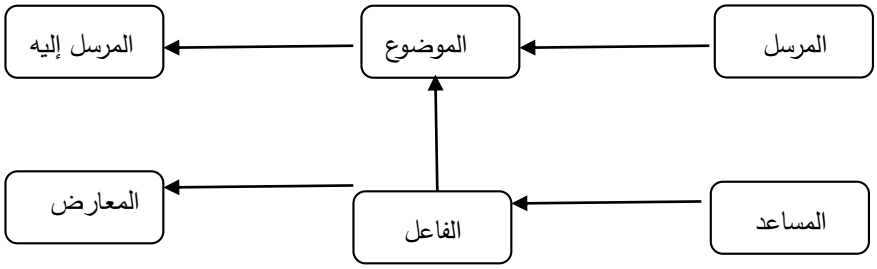


إذ أنه من خلال تحديد المحضن الثقافي الذي ترعرعت ضمنه هذه النظرية ورصد الإطار المعرفي الذي انبثقت عنه يمكن تقريب هذه النظرية من فهم القارئ العادي، وتيسير سبل استيعابها لديه، ومن ثمة الإقبال عليها، لأن غموض النظرية أو استعصاء بعض مفاهيمها، كثيرا ما كان سببا في نفور القراء منها.

**2.3. خطاب الترجمة والتعريب:**

بعد تمكن المرحلة الأولى، ممثلة في مرحلة التأصيل لهذه النظرية والتعريف بها، من تبسيط مفاهيمها أمام القارئ العربي عموما والمغاربي خصوصا، انتقل النقاد المغاربيون إلى مرحلة أخرى أكثر تطورا من المرحلة الأولى، ألا وهي مرحلة الترجمة والتعريب.

يهدف هذا الخطاب- على الرغم من قلته في الخطاب النقدي الجزائري وانتقائيته [2]- الذي تكفل بالنهوض به ثلةٌ من الباحثين المغاربيين الجامعيين على وجه الخصوص، إلى إطلاع

[1] قادة عقاق، السيميائيات السردية وتجليتها في النقد المغاربي المعاصر.

[2] لا نجد من بين الباحثين المغاربيين – على الأقل في حدود ما وقع بين أيدينا- من قام بترجمة لمؤلف كامل من مؤلفات غريماس، فكل ما هنالك لا يعدو أن يكون ترجمة مجتزئة لمقال أو فصل أو عدة فصول من كتاب، وأحيانا أخرى تقدم تعليقات مختصرة عن نظرية ما، أو عدة نظريات مجتمعة، وعلى الرغم من القيمة التعليمية والتعريفية لمثل هذه الأعمال، إلا أنها تطل في كثير من الأحيان ناقصة، لكونها تقدم في الغالب الأعم هذه النظرية

القارئ العربي على مستجدات الساحة النقدية الغربية، ومواكبة تطوراتها، على الرغم مما يعتريه من نقص وخلل، وبخاصة في جانب المصطلح- ترجمة أو تعريبا- الذي يقف في كثير من الأحيان عائقا في وجه الاستفادة القصوى من هذه النظريات الغربية الجديدة، بسبب عدم توحد الجهود في هذا المجال والتعويل بصفة تكاد تكون مطلقة على المبادرات الفردية التي كثيرا ما تتجاهل الجهود السابقة. ومن بين المؤلفات النقدية المغاربية القليلة التي نهضت بهذا الصنف من الخطاب، نجد:

- **من المغرب:** سيميولوجيا الشخصيات الروائية (ترجمة لمقال فليب هامون)، دار الكلام، الرباط 1990، لسعيد بن كراد.
- **ومن الجزائر:** السيميائية أصولها وقواعدها، منشورات الاختلاف، الجزائر 2002 (ترجمة لمجموعة من المقالات لنقاد غربيين). لرشيد بن مالك من الجزائر.

ففي مؤلف سيميولوجيا الشخصيات الروائية، ينهض سعيد بنكراد بترجمة مقال فيليب هامون حول الشخصية السردية، والذي ينكون من مدخل وثلاثة محاور، تتعلق بتحديد الشخصية، وعلاقتها ومدلولها ومستويات وصفها، ودالها ودليلها وتركيبها.

في حين يتكفل الباحث رشيد بن مالك، في مؤلف: السيميائية أصولها وقواعدها، المشار إليه أعلاه، بترجمة مجموعة من المقالات النظرية والتطبيقية لبعض أقطاب السيميائية الغريماسية تحديدا، من أمثال: ميشيل آريفييه، جوزيف كورتيس، وجان كلود جيرو ولوي بانييه [1].

– أو النظريات- مفصولة عن أصولها العلمية ومرجعياتها التي أسهمت في بلورتها، والتي بدون الالتفات إليها يبقى الغموض والإبهام يلفها (النظريات) ناهيك عن صعوبة استيعابها من لدن القارئ.

لمزيد من التفصيل، بنظر: قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغاربي (نظرية غريماس)، مركز الكتاب الأكاديمي، الأردن، 2018، ص.ص 88-101

1. لا نجد من بين الباحثين المغاربيين – على الأقل في حدود ما وقع بين أيدينا- من قام بترجمة لمؤلف كامل من مؤلفات غريماس، فكل ما هنالك لا يعدو أن يكون ترجمة مجتزئة لمقال أو فصل أو عدة فصول من كتاب، وأحيانا أخرى تقدم تعليقات مختصرة عن نظرية ما، أو عدة نظريات مجتمعة، وعلى الرغم من القيمة التعليمية والتعريفية لمثل هذه الأعمال، إلا أنها تطل في كثير من الأحيان ناقصة، لكونها تقدم في

ولعل ما يلفت الانتباه في هاتين الترجمتين، هو تلك الصعوبة التي يجدها الباحثان في إيجاد مقابل دقيق ومعبر للمصطلح في اللغة العربية، مما جعلهما يعتمدان– في كثير من الأحيان-على مجهودهما الشخصي. الذي وعلى الرغم من فائدته العلمية والبيداغوجية المحمودة، إلا أن عدم حيازته لإجماع مقبول من لدن الدارسين والمهتمين، يُفقده الكثير من أهميته وجدواه.

### 3.3. خطاب الممارسة التطبيقية:

بعدما تمكن النقاد المغاربيين، في المرحلتين السابقتين من التعريف بالنظرية وتبسيطها أمام القارئ العربي، ثم ترجمة مصطلحاتها وتعريب بعضها، دلفوا إلى مرحلة أخرى، ألا وهي مرحلة الممارسة التطبيقية.

يهدف هذا الخطاب النقدي . الذي لا ينفصل عن المستويين الخطابيين السالف ذكرهما.في جملة ما يهدف إليه، من خلال اتكائه في مقاربته للنصوص على مفاهيم هذه النظرية ومصطلحاتها، والأخذ بتوجيهاتها في تحديد مستويات النص بمختلف أشكاله وأحجامه وضبط أبعاده إلى:

- محاولة اختبار مردوديتها التحليلية.
- وكذا إثرائها من خلال مدها بعناصر محلية تمنحها تلوينا فكريا خاصا.

ومن المؤلفات المغاربية التي نراها تمثل هذا المستوى الخطابي أحسن تمثيل، سواء في جانبه الإيجابي أو السلبي، وبخاصة في مقاربة الخطاب السردي في مختلف تجلياته: الروائي والقصصي والحكاية الشعبية، نجد:

1. **في المجال الروائي نجد من الجزائر:**

---

الغالب الأعم هذه النظرية – أو النظريات- مفصولة عن أصولها العلمية ومرجعياتها التي أسهمت في بلورتها، والتي بدون الالتفات إليها يبقى الغموض والإبهام يلفها (النظريات) ناهيك عن صعوبة استيعابها من لدن القارئ.

لمزيد من التفصيل، بنظر: قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغاربي (نظرية غريماس)، مركز الكتاب الأكاديمي، الأردن، 2018، ص. ص 88-101.

- مؤلف: السيعد بوطاجين: الاشتغال العاملي، دراسة سيميائية "غدا يوم جديد" لابن هدوقة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2000.
- رشيد بن مالك في مؤلفه: مقدمة في السيميائية السردية، الصادر سنة 2000.
- ومؤلف: حسين خمري، فضاء المتخيل (مقاربات في الرواية)، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2002).

**2. ومن المغرب نجد:**

مؤلف سعيد بنكراد، سيميولوجية الشخصيات السردية، رواية (الشراع والعاصفة لحنا مينا)، الصادرة سنة 2033.

**3.ومن تونس: <u>وفي سيمائية القصة القصيرة، نجد من الجزائر</u>:** رشيد بن مالك في مؤلفه: مقدمة في السيميائية السردية، 2000. والذي يتناول فيه بالدرس والتحليل وفق إجراءات التحليل السيميائي قصتين قصيرتين، إحداهما بعنوان (العروس)، لغسان كنفاني، والثانية بعوان (عائشة) لأحمد رضا حوحو.

**<u>وفي مجال المقاربة السيميائية للحكاية الشعبية، نجد من الجزائر:</u>**

- عبد الحميد بورايو في مؤلفه: التحليل السيميائي للخطاب السردي (دراسة لحكايات من ألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة) 2003،

ومن تونس، نجد جميل شاكر وسمير المرزوقي في مؤلفهما: في نظرية القصة 1985.

ومحمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي (نزرية غريماس)، 1994.

يحاول الدارسون المغاربيون في مؤلفاتهم التطبيقية المذكورة أعلاه–إجمالا-وعلى اختلاف المتون والأجناس السردية المقارنة (رواية، قصة قصيرة، حكاية شعبية)، تفكيك البنية السردية للنص المُقارب، وهم، في عمومهم، لا يخرجون في ذلك عما أقرته السيميائيات السردية من مفاهيم وما حددته من شروط ومبادئ لاكتناه التمفصلات الأساسية للنص استنادا إلى هيئاته التلفظية المؤسسة للفاعل. حيث يشترك جميعهم في مقاربة:

- البنية العاملية للنص، راصدين الذوات الكبرى المهيمنة نصيا، رابطين إياها بالبرامج السردية.
- ومبينين أهم الاتصالات والانفصالات بين الذوات وموضوعات قيمتها، بهدف توضيح كيفية انتشار مختلف الصيغ التي يتضمنها النص المقارب. فضلا عن البرامج السردية الأساسية والثانوية، ناهيك تفحص مختلف المسارات السردية والغرضية، فضلا عن البنية العميقة والمربع السيميائي، وغيرها من الأدوات الإجرائية التي تقترحها السيميائيات السردية ذات التوجه الغريماسي.

غير أن جل هذه المقاربات لا تشمل النص المقارب في كليته، ولا تستنفد مختلف المفاهيم الإجرائية التي تتوسلها سيمياء السرد الغريماسية في مقارباتها. مما يجعلها– في كثير الأحيان-مقاربات انتقائية بامتياز، تأخذ ببعض الإجراءات دون غيرها، ولعل ذلك راجع لكثافة الترسانة الإجرائية والمفاهيمية لهذه النظرية، والتي تجعل التحليل يتضخم في حال متابعة النص المقارب في مختلف تفاصيله وجزئياته، لاسيما إذا كان بحجم رواية.

هذا ويعترف جل الدارسين بالصعوبات المعترِضة سبيلهم والمتمثلة بصفة خاصة في معضلة المصطلح، وتعقد عملية تحليل الفعل السيميائي المحدد لنظام العامل. وهذا ما نلاحظه بجلاء في جميع المقاربات دون استثناء.

4. **النقائص:** ولعل ما يلاحظ على هذا الخطاب (التطبيقي) في مجمله، على الرغم من المحاولات القليلة الجادة التي نهض بها بعض الباحثين الجامعيين على وجه الخصوص، لتطويع مفاهيم هذه النظرية وملاءمتها مع النص المحلي المقارب، أنه في أكثر الحالات وأحسنها يكتفي المحلل **بوصف النص وتحديد مكوناته خارج غاياته الدلالية والجمالية،**

الأمر الذي يتحول معه الفعل النقدي إلى ممارسة تكنقراطيه تقف عند حدود الوصف والتعيين المباشرين لمكونات النص المباشرة.[1]

أما في أسوء الحالات، فإن خطاب التطبيق هذا- بسبب عدم الاستيعاب الشامل للأصول العلمية لهذه النظرية، وسوء فهم دلالات مفاهيمها- نتيجة لذلك- نجده يسعى لا إلى إنجاز تحليل سليم للنص المقارب، من خلال فك مقوماته الأساسية وفق طريقة تحليلية تتغي تأويل الجوانب الإيجابية فيه وتقويمها في الوقت نفسه، كما هو هدف كل نقد[7]، بل نجدها في أحيان غير قليلة- عوضا عن ذلك- تعمل على:

- تحطيم النص من خلال تقطيعه وتجزيئه وتشظيته إلى أجزاء صغيرة لا رابط بينها- بهدف الوصول حسب زعمها إلى أجزائه ومكوناته الصغرى - مغرقة إياه- النص- ضمن ترسانة هائلة من المصطلحات والمفاهيم، التي تتحوَّل وفق سوء الفهم هذا، ومع مرور الزمن إلى أدوات صماء لا تحيل سوى على ذاتها بعيدة عن غنى النص وإحالاته الدلالية المتنوعة[8].

5. **خاتمة وتقويم:** ولعل ما يمكن أن نخلص إليه في الأخير، هو أنه، ولئن كانت هذه النظرية بمعية غيرها من النظريات الأخرى، قد نجحت بكيفية أو بأخرى في تغيير نظرة خطابنا النقدي إلى النص من خلال لفت انتباهه إلى مستويات وأبعاد فيه لم ينتبه إليها من قبل، إلا أنها على الرغم من ذلك، لم تنجح في بلورة خطاب نقدي سيميائي عربي متين- حتى لا نقول نظرية سيميائية عربية متميزة- لكونها لم تنجح في إحداث نقلة نوعية يمكن بمقتضاها تجديد آليات هذا الخطاب وإثراء منطلقاته بأصول نظرية جديدة، وبالتالي تغيير تصوره للممارسة النقدية والنص الأدبي على السواء.

فكل ما نجحت في تحقيقه هو إغراق الساحة النقدية بكمٍّ هائل من المفاهيم والمصطلحات (المبهمة)، التي استحالت عند التطبيق إلى مجرد **استمارات أوكشوف** بيانات

[1] ينظر، مجموعة من المؤلفين، السيميائية أصولها وقواعدها، تر، رشيد بن مالك، منشورات الاختلاف، الجزائر 2000، على التوالي: ص. ص.65 . 141، مع ملاحظة أن النص الأخير، والخاص بجوزيف كورتيس، والممتد من الصفحة:127 إلى الصفحة 141، ترجمه بالاشتراك مع عبد الحميد بورايو.

تُملأ عند الحاجة، مما جعل معظم التحليلات تتشابه إلى حد التطابق، والقراءات تستنسخ ذاتها في تكرار مُمِلّ، وغير مجدٍ. لنجد أنفسنا:

- أمام قراءة مُنمَّطة يمكن إسقاطها على أي نص لتعطيك النتائج ذاتها.
- وأمام مقاربة واحدة بصياغات متقاربة، إن لم نقل متماهية، يمكن نسبتها إلى دارس واحد أو إلى دارسين متعددين دون أي فرق يذكر بين دارس وآخر.

والأخطر من ذلك غدت:

- النصوص الأدبية متساوية من حيث القيمة: جيّدها ورديئها.
- **كما غدا النص في خدمة النظرية** . أي أن هدف القراءة هو المنهج النقدي لا النص الإبداعي. بينما العكس هو ما ينبغي أن يكون[1].

ولعل أحد أهم أسباب هذا الإخفاق، يكمن في طريقة تعاطي هذا الخطاب النقدي مع هذه النظرية وغيرها من النظريات المتنوعة الجذور والمتشابكة الأسس، حيث إنه كثيرا ما يكتفي الناقد سواء في ممارساته التطبيقية أو في عروضه النظرية بنقل المصطلح أو المفهوم مفصولا عن سياقه الفكري ومجردا من أي غطاء فلسفي، بينما النظريات قبل أن تكون مصطلحات ومفاهيم معزولة، هي أسس فلسفية وأصول نظرية تجسد وعيا حضاريا معينا، يقتضي فهمها والتفاعل الإيجابي معها، استيعاب أصولها العلمية، وأسسها الفلسفية أولا وقبل كل شيء[2].

[1] ينظر: سعيد بنكراد، ممكنات النص ومحدودية النموذج، مجلة مخبر النقد والدراسات الأدبية واللسانية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي بلعباس، ع1، 2006/2005، ص.1.

[2] لمزيد من التفصيل في هذه القضية، ينظر: سعيد بنكراد، السيميائيات السردية (مدخل نظري)، منشورات الزمن، المغرب، 2001. ص.ص5 -7.